الأمريكسوس

مجدي عبد النَّبي

اسم الكتاب: الأمريكسوس

المـــــؤلِّف: مجدي عبد النَّبي

النـاشـــــر: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع

تصميم الغـلاف: محمَّد فـــاروق

التَّجهيزات الفنيَّة: حسام أنيس

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢١٣١٤

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٥٠١٦-٨٠-٥

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنيَّة- دار الكتب المصريَّة

عبد النَّبي، مجدي.

الأمريكسوس: قصص قصيرة/ مجدي عبد النبي- ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٤ .

١٠٠ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٥- ٨٠-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

٨١٣.٠١

الأمريكسوس

مجدي عبد النَّبي

بورصة الكتب

٢٠١٤م

إهداء

إلى... روح أمِّي

الغالية... (التي اشتقتُ إليها)

.....

إلى حبيبي أمير

وحياتي عبد الرحمن

أبنائي

وإلى...

زوجتي الغالية

مجدي عبد النبي

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

١ – الجبّ ٩

٢ –نزيف استدارات الشّطوط ٢١

٣–الأمريكسوس..... ٣٧

٤ –انعتاق..... ٦٩

٥ – مرافئ التّيه ٧٥

٦ – جثّة ٨١

٧ – البحث عن الفارس الأخير.....٨٧

٨ – السِّيرة الذَّاتيَّة للمؤلِّف ٩٣

1
الجبّ

أتكوَّر فوق وخز حشايا القلق... ينتاب العقل الوخز... يعشش في الجمجمة، متاخم لمراكز الآلام المزمنة. أهجع... أشرد. أقتل ساعات التكوير... أقلب أوراقًا... أنثر التّراب من فوق السّطور... يوغل في النَّفس طعم الملل... بقعة ضوء ثلجيَّة تلمحها عيني... لم تزل بعيدة المنال... يصطكّ القلب بضلوع الصّدر؛ الحركة موجعة. أتحسَّس أمكنة الخواء بالجسد المسجى... لا يقوى جفناي على الضمِّ... تبحر عيناي. ترتطم بالأفكار نفسها أتنفَّس بصعوبة... أزدرد بعض الأرقام. تنحبس بالحلق... تفرز مرارة... قالوا: بقعة ضوء تغسل أدران القلب... تتبتَّل الرُّوح القلقة... تسكن نفسًا... تأتلق... تحترق. تمرّ السَّاعات الفجّة. أغالب تكويري فوق الفراش. تمتدّ الأصابع تحاول أنْ

تلمس حواف النّور... تغسل جدار القلب... تملأ حشاياه دعة وقطرات سكينة. ينسلّ إلى صوت الشيخ عبد الصمد عبر المذياع... مترعة فخامة الحروف في أذني...تنزح مساحات تراكمتْ مثقلة. إثرهم اليوم المولود... المطعون بصراخ السَّيَّارات التي طفت في شوارع المدينة. توزّع العوادم في الأركان. ضجيج التّرام "دجدجاتها" يهز أوصال الجسد المسجّى يغالب تعبًا وكدرًا.

أنظر لمواضع الكتب، وزجاجات الماء الملوَّثة بالجراثيم... نفايات الأدوية، ونثارات الأوراق... أحبار الأقلام الملوّنة فوق المكتب المقابل لفراش التّكوير. ارتشق شعاعًا منسلاً من خلف الشيش المغلق... أركان الحجرة... تذكّرت عمود النّور الثلجي المنسلّ من قبّة الصَّخرة مرقد الأنبياء... حلمت به يومًا... تحمَّمت بحبَّات النّور. تنشّفت بنثاراته... انقطع صوت عبد الصمد. أغالب تكويري المنهك. بدَّد الصخب سحبًا ترقد في مساحات الحجرة. بعينين متَّقدتين أستسلم لبراثن الشّرود.

وخز التّكوير

****

كان القيد اشتدَّ فوق العنق. أتنفَّس بصعوبة من فوّهة الأغلال. تركت أثرًا غائرًا... علامات محفورة بالقلب... اقتحم شعاعٌ ضخم الحجرة... غشيت الأبصار. ذابت حلقات القيد الحديدي. أبخرة ناعمة تنسلّ من ثنايا الشّعاع. أضحى ضخمًا... يملأ كلّ الأركان... غلف صدري... بطن حجرات القلب بالدّفء... كانت عتيقة رائحة المسك المطحون، بحبَّات العنبر. اخضرار فوسفوري في قلب عمود النّور... غلفت عيني كتل الضّباب الهشّ. ذابت نتوءات بالصّدر. كانت تميل للسّواد. أجهضت الحمل المثقل. قفزت في الهواء... أسبح وسط كثافة النّور... انسلّ تيّار من الهواء المنشع بأنسام، لم أعهدها؛ لا توصف... لا تخطر على القلب... كانت تتحرَّك ذرَّات العين. لا ترى سوى خيوط النّور، ومساحات متوازية متعانقة... ثريَّات تتدلَّى. أشعر بالصّعود لأعلى... في دائرة حلزونيَّة. أدور وسط الموجات. أدور... أدور... أذوب.

البِئر

****

ترتجف الأوصال... ترتجّ مواضع القدمين. أتّجه صوب درب مفروش بنثارات من نور... توقّفت عند حافّة البئر... رائحة من العبق تفوح. تتغلغل في الخياشيم. تملأ رئتي. أنظر للجبّ. أتذكَّر وجه يوسف المزدان من ساق العرش... تستقرّ وشمة بين عينيه.

– يا شاهدًا غير غائب.

تراتيله خلال الأيَّام الثلاثة في جوف الجبّ بالأرض المقدّسة. ولَّيتُ وجهي شطر فوّهة البئر. تنفّست بعمق... تصاعدت أبخرة طيّبة. كان عميقًا... يرقد في القاع السواد. دمعت عيناي على عذاب الفتى صاحب ثلثي الحسن والجمال... الذي فارقه بعد سبعين عامًا. أمسكت بالدّلو... تاق حلقي ليبتلّ من ماء الصّخرة المقدّسة بأرض إيليا. تراخت أصابعي عن جدائل الحبل. ظلَّ ساعات حتَّى لامس وجه الماء. انقطع عند الصّعود. لم يصلني غير هسيس بعيد. جلستُ في حزن وأسى. هتف في أذني، ومن خلفي، ومن فوقي، ومن تحتي... حتَّى ظننت أنَّ الهاتف يسكن بالبئر. قرأت تراتيل من القرآن، وسورة يس. استكانت بين الضّلوع الكلمات. أفرزت دعة ومسحة

من الأمن. تحرّكت قدماي صوب البئر. تراجعت مرّات. أعدت على أذني حروف الهاتف.

– انزل إلى البئر.

في أحد جوانب جدرانه كان سلم كلّما ارتقت قدمي درجة تضيء واحدة بعد أخرى. كانت كنور مسبحة في جوف الظّلام. لا أتذكّر كم من السّاعات مضت وأنا أهبط. أبخرة من الدّفء؛ تصعد من تحتي... دخان شديد البياض يتصاعد... ضوء شفيف يتسلّل. نظرت لأعلى. كانت فوّهة البئر اختفت. لم أرَ غير السّواد. نظرت لأسفل... تسرّب دخان أشد بياضًا... ممزوج بخطوط نورانيَّة. لامست قدمي أرضًا ليّنة. توقّفت... امتزجت بالدّخان الكثيف الذي يحوطني. تبدّد شيئًا فشيئًا من حولي. كان قبو في الجدار لامسته. انشقّ على مصراعيه. جحظت عيناي. اضطرب القلب بشدّة. لم أستطع أن أتحرّك نظرت لأعلى. لم يكن غير السَّواد يستكن. كان المنظر أخّاذًا... ساحرًا. لم يخطر على قلب بشر. ناداني هاتف... ألفت صوته. دبَّ في القدمين دفء. تحرّكت. كانت الألوان زاهية... ناعمة خاشعة. النّور شديد البياض... مغسولاً شفافًا. تبصره... تنهال منه كأنَّه لبن وعسل... يملؤك قوَّة. تحرّكت فوق أرض ليّنة، وسط أعمدة

نورانيَّة. كان الهاتف يرشدني. أتَّجه صوب باب به نقوش لوجه ظننتُ أنّي أعرفه من قبل. كان الوجه خليلاً للقلب. تقيًّا للعقل... وقورًا مهابًا. انفتح الباب وانصفق خلفي. دلفت دون أن أتحرَّك. لم تعد قدماي تتحرَّكان؛ لكنّي أسير... عبر أودية من ذهب... وفضة. جبال من لؤلؤ ومرجان... وزبرجد أنهار من عسل مصفى. بساتين باسقة اخضرارها شديد... أوراقها كحنان أمّي. تتضرَّع في خشوع... تتَّجه نحو اتجاه أسير إليه في دوَّامات مغناطيسيَّة... أسبح معها... أشعر بالدّفء؛ كلَّما ارتقيناها يتحوَّل جسدي درجات. ظهرت نقط بيضاء نحو الأفق. اقتربت منها. كانت ملائكة باسمة. كان جسدي يشابه أجسادهم، والرّيش الذي يكسوه مطرّزًا بحبَّات من اللؤلؤ. توقفت. بادلوني تحيَّة لم أعهدها... تحرَّكت معهم صوب مغارة عتيقة... دلفنا. كان طفل يرقد بها... جميلاً وسيمًا... نظرت إليه. كان يكبر... يتحرَّك... يحطم أصنامًا... يهزم فلول الأعداء... يمسك به النّمرود... يشعل نارًا... تتأجَّج... تدعو له ألسنة الملائكة في السَّماء. تهبط إليه تتحوَّطه... تبتلع ألسنة اللهب. تزيح سعارها عنه... تلفّه بأحزمة من البرد... تتحوّطه بسلام... يشعر بأنسام حانية... تخمد النّار...

تنطفئ الجمرات المستعرة. يخرج مبتسمًا. يخرّ الأعداء. تدمع عيناي. أصرخ.

– كيف جرؤ... أن يحرق نبيًّا؟!

أرى طفلاً آخر عند مغادرتي للمغارة. كان يرفس بقدميه... تنبجس الماء من أسفل قدميه. تدعو أمّه، وهي تهرول. كان شبيهًا بأبيه. تتدفَّق الملائكة صوب الماء. تبني قواعد بيت من نور؛ في قلب الوادي القائظ تهوى القلوب... تهفو إليه.

وانشقَّ البحر

****

تحرَّكت بصحبة ملائكة أخرى نحو وادٍ مقدَّس يتشابه بـ"طوى". أخرج رجل ذو لحية بيضاء عصاه من ضلعه. كانت تكبر بيده. ألقاها على الأرض. صارت حيَّة تتلقَّف أسلحة الأعداء. خرَّ الجميع أمام الرَّجل التَّقيّ. أطاح الفرعون برءوس الرِّجال المسجيين. تحسَّس الرَّجل الورع لحيته. قرأ في عيني الآخر الغدر. سار نحو البحر. كان خلفه يتحرَّش به؛ أمسك عصاه. انشقَّ البحر. كان جبلاً من لؤلؤ وماس وزبرجد. كانت الأرض تفترش بالسّندس. توغل فيها. عبر إلى الضفّة الأخرى. عبر

الرّجال في السَّادس من أكتوبر... كانوا يهتفون كما يهتف من القلب. اغترَّ الأعداء. ساروا على الدّرب نفسه. كان...؟!

الطّوفان

****

كانت ناعمة الرّمال... ملساء... قاحلة أحيانًا... جبال تتكوَّم... تتحرَّك إثر صخب الرّيح... حينما يتشاجر معها... يركلها... ينثرها في الصَّحراء الممتدَّة. تحترق تحت القيظ المشنوق... الهاجع بكلِّ صوب. جاء الهاتف. سمعته وأنا أقف وسط الملائكة... التي نقلتني إلى تلك الغرفة؛ بعد أن اجتزنا بابًا مرسومًا فوقه رجل وسفينة. اتّجه صوب الأدغال. سار أميالاً على قدميه... يمسك بعصا قصيرة... يخرج منها أنغامًا سحريَّة... كانت الموسيقى تأسِر زوجين من الطَّير... بطًّا... أوزًا... طاووسًا... غزلانًا... ثورًا أفيالاً... ووحوشًا ضارية... لم يتبقَّ منهم غير اثنين... زوجين... متحابين لأنغام تقتحم أذنيهما. ظلَّ يسير شهورًا... دروبًا وأودية حتَّى وصل إلى القرية الظَّالم أهلها. أخذ يجمع أخشابًا... يبني سفينة في الصّحراء. تبني معه الملائكة، والقوم ساخرون، حتَّى جاء الهاتف في الميعاد... نادى من السَّماء. فأغلق باب السّفينة،

وهي قاحلة في الصّحراء... انشقّت السّماء... انفجر الرّعد... انهمر السّيل؛ فارتفعت السَّفينة. تسير في بحر يعلو، قمّة أعلى الجبال. أخذت تتخبّط... تسير في درب معلوم... كان يصلّي الرَّجل وأهله بالسَّفينة... يسبح لله... يطعم كلّ الحيوانات التي آنسته. طافت سفينته حول الكعبة... ظلّت تدور سبع ليالٍ، ثمَّ اتّجهت صوب المسجد الأقصى. دمعت عيناي. اصطكّ القلب المفعم بالنّور... هدأ تنفّسي. هدأ البحر... رست السّفينة عند مرافئ القلب. أمسكني أحد الملائكة... مسح الرّيش بعنبر ومسك... ودعني. فارتقيت بصحبة ملائكة أشد.

النّور

******

وقفنا أمام الباب... كان هشًّا... نكاد نرى خلف السّياج. كان سمته بشرًا... وأمّه مسحة من نور... تمسك بشجرة زيتونيَّة. كان حائرًا... يجول في الطّرقات... أتذكَّر حينما أخفته العذراء في بلادنا. لم تزل كفها مطبوعة فوق الأحجار. ارتقى صخرة عالية. كان يمسك فرع شجرة من زيتون. كان الضَّباب الشَّفيف كثيفًا. أخذ يلفّ. تذكَّرت خليلاً. كان النّور يحيطه... يحميه من النَّار.

أحاط رجل الزّيتون. نور وسحاب أشدّ بياضًا.أخذ يلفّه... بدأ يصعد لأعلى... يرتقي سلّمًا حلزونيًّا... يتّجه لأعلى. تشاجر القوم. لم يزالوا يتشاجرون. نظرت إلى الملائكة التي تحيطني. تساءلتُ إلى مَن سنتّجه؟ نظروا إليَّ بدهشة. كانت الرِّحلة على وشك الانتهاء.

تساءلتُ:

– هل سنزور أحدًا بعد ذلك؟

قالوا:

لم يأذن بعد.

نظرتُ عبر الأفق. كان شامخًا... يتلو كلمات من نور. أردت أن أذهب لشفيعي. قالوا:

– لم يحن الوقت.

كان يجلس في المحراب... عيناه صوب الكعبة... قلبه صوب أرض إيليا... يتلو... تساءلت:

– مَن يحمي البيتين؟

نظر لأعلى. فانكشف حجاب به مائة ألف قطعة من السَّتائر. ممسكًا بها مائة ألف ملك. طلَّ نور شديد البياض. قال:

– صاحب هذا النّور.

– ومَن صاحبه؟

كانت هناك أحجيات لا تعدّ ولا تُحْصَى.

– النّور خلف الحجب.

– وخلف الحجب.

– ألف ألف نور وحجاب.

– وخلفهم.

– ألف ألف ألف ألف نور... وألف ألف ألف حجاب.

– وخلفهم جميعًا.

– النّور الأعظم.

– وماذا أصنع الآن.

لم يجب. نظرتُ خلفي. وجدتُ طريقًا. سرتُ بحذر. كنتُ أهبط... كان الظَّلام يدبّ في جنباته... طعن كلّ أرجاءه. تحوطني. كان سلم أمامي ارتقيت درجه. كان قاع الجبّ. تذكّرت عند قدومي كيف كان المكان. شعرت بحسرة في قاع صدري. كنتُ أودّ أنْ أنهل من نور الحجب. نظرتُ خلفي. كان السّواد يرتع. نظرت في السّماء. كانت حبّة ضوء. أجاهد كي أصل إليها. بدأت المشاهدات كوخز يصطكّ برأسي، وأنا أصعد في دوّامات لأعلى.

2

نزيف استدارات الشطوط

(١)

اهتزَّت أوصال الأرض... ارتَّجت بعنف... تناثرت كلّ القوائم والأشلاء.

(٢)

-كنَّا نحتاج هزَّة.

-أخرجنا الزّلزال من حدّة الصَّمت.

نظرت للوجوه... الأفواه المزمومة التي تفرز حروف الأسى.

استقرَّت كلمة في جمجمتي أيقظت كلّ حرارة اليوم.

-الزّلزال.

بعينين صامتتين.

-ليتكم شاهدتم معي ساعات أكتوبر.

(٣)

خلف سواتر الصَّمت نترقَّب... نرصد كلّ ثوانيه... تنبطح الرُّءُوس في الخنادق... ندفن ساعات لافحة بالنَّهار... باردة بالليل... نحتضن ماسورة البندقيَّة... نستكنّ أسفل الخوذ... نشعل احتداد البصر الرَّاصد، الضّفَّة الأخرى... تحت أنفاس حبيسة... نستجدي حديثًا عن شجاعة "فارس" فجر بكارة السكون، ببضع رصاصات، تتأجَّج ببطن خزانة السّلاح... داخل القلب المستعر. أقعى فوق التَّلّ. متاخمًا لبرج مراقبة... حذَّرني رئيسي... لامني كي أرتدي خوذتي... تغلق كلّ منافذ جمجمتي. كانت تهرب منها الكلمات. تفرّ عبر الليل في سكون، تتسلَّل إلى القمَّة. لم أزل في وضع استعداد للقنص. أقذف سعار بندقيَّتي المدفون في الأحشاء أفضّ بكارة كتل الصَّمت... يشطر جمجمة فوق الضفَّة الشَّرقيَّة.

أطيح بخوذة من فوق التباب والدشم. أرصف فجوة لقبائل الدُّود تعشّش في الكهف المتلطّخ بالدَّم الموصوم. يشقّ أزيز الرّصاصة. عنف الصَّمت الضَّاغط فوق رئة الليل... شرايين القلب... يتنفَّس رفاق الخنادق والدّشم... يتراقصون طربًا... يهرع رئيس الجنود نحوي. لم أزل منبطحًا. أغمض عيني اليسرى نصف إغماضة. أنظر نحو الليل الذي يتراكم فوق الماسورة، وعيني... يتراكم السَّواد فوق الضّفَّة الأخرى، وحشايا الخوف المدفون. تعبر شظايا القلب جثَّة القناة الرَّابضة... بيني وبين الجمجمة المصروعة. بدأت قبائل الدّود ترتع داخل الكهف... أتمنى لو عبر القلب مساحات الليل... واستقر هناك فوق بقايا الجماجم المستديرة... المشطورة فوق التباب.

-قف.

ينهرني رئيسي. أنظر في عينيه الفرحتين لاغتيالي للصَّمت الأحمق، لأزيز القلب السَّاكت في اعتقال. تنفلت رصاصة بعد أيَّام. تغتال استدارة أخرى... تنشطر الخوذة إلى نصفين وتنهار من

فوق السَّاتر التّرابي. يتهلَّل القلب في الصَّدر. يحذرني رئيسي بحدَّة.

-لسنا فرقة قنَّاصة.

أبعدني أمتارًا عن خطِّ الضّفَّة، عن جثة القناة، وأمواجها الميتة.

-هذه أوامر.

كان حزينًا عندما تلاها على أذني... عانقتني عيناه. ربت فوق كتفي منفردًا. كان الصَّدر تملؤه جسارة. تنصهر عند أعتاب الليل. تنزف مرارة ساعات الوهج. والعرق اللزج... جمرات في السّترة ورأسي وتحت الإبط. ظهري يؤلمني عند هبوب شهر طوبة. أشعر بآلام الرّوماتيزم تخترق العظمة المتاخمة لعضلة (المجانص). في العتمة تزداد البرودة، يتراكم الليل فوق جدار الصَّقيع... تملأ الشّبّورة سماء الفجر... تحول رؤية الضفَّة المقابلة... لم تبرح عيناي مواطئ الرُّءوس المدفونة فوق السَّواتر المتحرِّكة نهارًا داخل عربات مصفَّحة... تظهر كحبَّة رمل صغيرة... تترقّبها حدقتان متوقّدتان بحدَّة.

-لدينا أمهر رامي سلاح في الحي... كان في الأعياد يتباهى أهل حارتي... بإصابتي داخل عربة نيشان (البمب). عند موالد سيدي أبي العبَّاس المرسى وسيدي جابر. كانوا يراهنون أولاد الأحياء الأخرى. من اللبان وكرموز ومحرم بك والعطارين ورأس التين والأنفوشي وبحري... احتدّت نبرتي. كنتُ أكره المراهنات، كان صاحب عربة النيشان يقايضني. أصرخ في وجهه. أذهب إلى شارع محمّد كريم "أخرم" من شارع فرنسا.

أصل إلى ساحة اللهو عند المرسى وأحيانًا نحو ميدان شارع النصر... أرمق عند نهاية الشَّارع واجهة بيتي. كان يتاخم سينما "كونكورد" تطلّ الشّرفة على سينما "ركس". كنت أفضّل أفلام سينما كونكورد على ركس وكرموز وماجيستيك. لازلت أذكر فيلم "الأربع بلالي المنقوشة" على صدر الممثل الكاوبوي بسينما بلازا، كان البطل سريع الطَّلقات لا يخطئ نيشانه. يحطم (البلّى) فوق الصدر النَّازف. يكسوه الدّخان ورائحة البارود تهزّ أوصال السينما... يصرخ الصّبية لا يرمشا جفناي.

-هل تكسب البطل في النِّيشان (يقولها أحد الرِّفاق).

سريعة هي الطَّلقات من فوَّهات الغضب. بطيئة لحظات التّرقب.

-سوف أسجنك لعصيانك الأوامر يا جندي صلاح.

يزعق في وجهي. لم أزل منبطحًا. عيني لا ترمش من فوق الفتحة الضيّقة، بأعلى الماسورة الممتدَّة خلال اليدين القابضتين على قلب البندقيَّة التي تخفق بعنف. تتدحرج رأس من فوق الضفَّة الأخرى... تتدلَّى الخوذة في مياه القناة. تجرفها بعنف. تسير في اتجاه السّويس... أتذكّر غارات الأشهر الماضية التي لفَّها الصَّمت، بعد إشاعة حائط الصَّواريخ "الروسي" القادم صوب الإسماعيليَّة، يؤانس وحشة البحيرات "المرَّة" و"التمساح". يفرد جناحيه... يظلّل مياهها الصَّافية... ينزح كدر الماء. يصفِّي مرارتها... تبدو شهدًا في حلقي. لم يزل الجندي رأسه تتدلَّى بين ساعديه الممتدتين، يهزّها الريح الجارف. يختلط اللغو في أذني.

-كيف أصطاد هذا الفأر!؟

-الشّبورة كثيفة.

-قنَّاص من صغره؟!!

أنصاع لأوامر الضَّابط... أعود لنداء الرِّفاق في ساحات أبي العبَّاس أصوات المزامير وقرع طبول الموالد والأعياد، يحملني فوق أعناق "حميدو" وعضلاته المفتولة... يتباهى بطلقاتي يرفعني لأعلى أشاهد المآذن العالية... ألمسها. تفزع أسراب الحمام... أضحك من القلب... تمتلئ الأوردة جسارة أفرغها في قلب عربة النيشان تتفجَّر كرات البمب. تخلف دخانًا وبارودًا أراقبه. أتلذَّذ رائحته. يتبدَّد في عيني.

-لماذا لم تنفّذ الأوامر؟

تتراكم الأسئلة... يتراكم الصَّمت، يقف من خلف المكتب... يدور حولي. يربت فوق كتفي، النياشين والقطع النّحاسيَّة تلتمع فوق الأكتاف ومقدّمة الصَّدر. يواجهني بعينين حانيتين.

-أنا فخور بك لكن...

أشرخ حدّة الصَّمت.

-إلى متى نزدرد حروف الصبر. بات علقمًا في الحلوق المتعطِّشة لمياه السّويس وبور فؤاد والتّمساح.

مبتسمًا.

-انتظر أيَّامًا قليلة.

-وما تحمل؟

-أخبارًا سارَّة لك!

تتحرَّك عربات نصف جنزير... وعربات كبيرة الحجم. تحمل صواريخ هائلة. ألمسها أكتب عليها اسمي، بعد البسملة.

-الصواريخ الرُّوسيَّة ستحدّ من غارات العدو تمامًا.

-قادرة على التحرُّك والتَّمويه.

-وإسقاط الطَّائرات من فوق رأسي.

يشير اللواء عليَّ وسط الطابور.

-صلاح الدين هو الأكفأ، ستكون من نصيبه أوَّل طائرة إسرائيليَّة، نزيّن بحطامها الدّشم.

يربت على كتفي الجميع في تهلل... يبتسم القلب منذ سنوات... أصعد فوق العربة، أضبط زوايا النِّيشان... يجزع الجميع... أترقّب في وهج الشَّمس أزيزًا عبر الأفق.

كان الجنود طوال السَّاعات الحارقة... يدفنون رءوسهم في الحفر والخنادق... ينتظرون في جلل أزيزًا يشقّ القلب الواجف... الدّخان الكثيف الذي يملأ سماء الأفق... طوال الشّهور الماضية. كانت بندقيّتي تصطاد الرُّءوس عند الفجر... كانت تشفي غليل النَّهار وبرودة الليل، الذي تترسَّب في أوردته كآبة. تتناثر شظايا الغضب من الحدقتين. تنتزع الاهتزازات العنيفة كلّ الحنق، ترمّم جدار القلب، تربت على أكتاف رجال الإسماعيليَّة وبورسعيد والسّويس، نمّقت أنفسنا. أخرج بجنون أفرغ الغضب المتراكم في أحشاء البندقيَّة، ناحية الأزيز والانفجارات. تتبعثر في الهواء تصيب كتل الدّخان التي توصم مخابئنا. يشدّني الجنود. أرتمي فوق أحضان الغلّ. أتقلَّب فوق وخز الفراش للصَّباح.

-لن يخترق أزيزكم آذاننا (قالها أحد الجنود وهو يشير إلى السَّماء في انتظار طائرات العدو).

_سوف نصغي لصوت الشَّظايا والارتطام. قالها آخر وهو يشير إليَّ. كنت في وضع استعداد فوق عربة التنشين. أضبط زوايا

الضَّرب. المصوّبة في ارتفاع زاوية حادَّة. تمرّ السَّاعات الحارقة. أخلع سترتي. أمسح كفِّي من العرق... الكلّ في حالة تأهّب ينتظرون أوَّل تجربة لحائط "الصَّدّ" من الصَّواريخ الرُّوسيَّة.

– هل تسقط طائرات العدو حقًّا؟

يتسرَّب الشَّكّ عبر مسام القلب المكدود... يصرخ آخر.

– سوف تصمّ الغارات آذاننا.

– شد حيلك يا وحش.

– قنَّاص الرُّءُوس... سيحطّم غاراتهم.

في الأفق يخترق الأزيز السماء. ينبطح الكلّ. يشتدّ السَّاعد فوق دائرة التَّنشين... انفجار.

(٤)

محمومة الطَّلقات في أصابعي... نزيف الدّخان يتخلّف من ذيول الطَّائرات المغيرة. يوميًّا أصبح هذا المشهد يتكرّر. يبدو مملًّا يتراهن البعض على سقوط الطائرة بعد الطلقة السَّادسة. الآخر يؤكّد أنَّ المجموع عشرة... والكلّ يؤكّد أنَّهم ثلاثة وسبعون ٧٣ خلال ستّة أيَّام. تكاد تصطدم طائرتان من ارتعاد أجنحتها لفوّهات المدافع المصوّبة.

– ادعوا لروسيا.

– ادعوا لـ"أبو صلاح" وأمثاله على امتداد القناة.

– هل يستمرّون في دفع الضّحايا من طائراتهم؟

– سمعت عن ضرب بحر البقر ومجزرة أبي زعبل.

– هذه ضربات اليأس.

– متى نعبر الضفَّة الشرقيَّة؟

– وندوسها بأقدامنا.

– بعد إعلان المبادرة.

– أيَّة مبادرة!

أنفجر ضاحكًا، كانت تتسلَّل الأنباء عن وجود دبلوماسي أمريكي يزور المنطقة من أجل البحث عن مخرج من المأزق.

– هل يوقف إطلاق النَّار؟

– مستحيل.

يصرخ صلاح من فوق مقعده الحديدي.

– على جثتي.

– الأوامر صدرت.

– كم المدَّة.

– ثلاثة شهور.

يشرد... ينخرط في الصَّمت... ينظر إلى السَّماء اللافحة... يعود للانتظار، والنَّظر لأقصى مدى تبصره عيناي من خلف زجاج النَّظَّارة الميدانيَّة. يضغط بعنف تلك المرَّة... تتطاير أشلاء الطائرات بعد عدَّة طلقات... يتصايح الجنود... أخذ يشرد في

الليل... أيقظته كلمات النَّهار، حول الرَّجل ذي الوجه الأحمر القادم من بلاد رعاة البقر... هل يقذف (البلّي) في صدر جنود الضفَّة الغربيَّة. الخوض في تلك الأفكار يقتله... يمزّق إحساسه... تطفو فوق سطح القناة أجنحة نزع ريشها من قلب الطَّائرة... يجرفها التيَّار نحو الشَّاطئ.

– هل يعبر العدو يومًا شطوطنا؟ يطأ بأقدامه مدن السّويس يصطاد أسماكًا في بحيرة التّمساح... يلهو بقارب صيد في بورسعيد وبورفؤاد... يعبر نحو القصاصين، كما فعل الانجليز... يندسّ الخونة بين صفوف عرابي في التلّ الكبير... قتلهم جدِّي بعد ذلك عندما مات الخديوي توفيق.

– لن يطأ أحد أرضنا.

زعق.

– لن نوافق على معاهدات مع الأعداء.

– سنبيدهم... نلقيهم في الجبّ... في صحراء التّيه.

(٥)

الحزن يكسو وجه صلاح وباقي الرِّجال. صاح قائد اللواء في الجنود.

– علينا تنفيذ الأوامر.

– ألا تشتاق لرمال سيناء؟

– أحضرت حفنة منها منذ أيَّام.

– لم تكن ملازمًا في "الكونتلا" ورائدًا في جزيرة فرعون!!

– هل شاهدت قلعة صلاح الدين؟

صاح الجندي صلاح:

– إنَّها ملكي وحدي.

لم يزل يخيّم الظَّلام والصَّمت فوق وجه القائد... يستمع إلى غضب الجنود الذي يمتصّه.

– مبادرة روجرز علينا احترامها.

صاح صلاح:

– ملعونة كلّ المبادرات التي تلوِّث أيدينا بالخزي والعار، حتَّى لو استعدنا أرضنا.

صاح آخر:

(لن يتركونا مهما طال الزَّمن وأوهمونا بإرجاع الحقوق المسلوبة).

نادى البعض:

– كلّنا معك يا صلاح وضدّ "يارنج" و"روجرز".

– كلّنا مع صلاح الدّين.

– اضرب غاراتهم... مزّق طائراتهم أشلاء من جمرات... النَّار تطفئ غليل مياه القناة... رفع الرَّجل يده... أمرهم بالانصراف بعد أنْ زعق فيهم.

– لا تخالفوا الأوامر.

(٦)

شعر صلاح بمرارة في حلقه. قالوا من ضرسه الذي تسلّل إليه السّوس. بدأت الأيَّام تمرّ برتابة... انسلخ النَّهار من أصوات الأزيز والانفجارات. راكدة مياه القناة، تنتظر أنْ تطفئ غلاً محمومًا... رمال الشّطوط اكتست بالقنوط وعرق الرِّجال اللزج.

– حائط صواريخ الصدِّ... طظ.

(قالها بعنف).

ركل الإطارات المجنزرة... دفن وجهه في كفِّه من لفح الشَّمس المحمومة التي شعر بسخونتها منذ إيقاف إطلاق النَّار.

– لن يهتم أحد بنا.

– سوف يعتري البنادق... الصَّدأ.

هزم الليل ساعات النَّهار اللزجة... مات الملل عند رمال الشطوط... كانت أنفاس الرِّيح تركل أذني. بدأتُ أسمع أشياء لم أعرها انتباهًا من قبل. أمسك كوب الشَّاي. ضغط عليه... طعنت سخونته برودة أصابعه... لم يزل مصوّبًا عينيه فوق الضفّة الأخرى. لفَّه الليل الموحل في السَّواد والصَّمت. انخرط في براثن الانتظار علّق عينيه فوق الضفّة الشرقيَّة. كان الظَّلام أفسد منظرها، استند إلى الدّشمة، وأفرغ محتويات بندقيّته. ألقاها بجانبه... يحصي الرّصاصات التي قتلها الصَّمت.

3

الأمريكسوس

برولوج.

(١)

يوم{عاد} رعاة البقر.

(٢)

صدام خطر على العالم والعراق!!!

(٣)

{ثمود} تمتلك أسلحة الدَّمار الشَّامل السَّحيق!!!

والإبادة؟!!

(٤)

العلوج قادمون (ليس للنفط)!!!

(٥)

رعاة الجمال ينصتون فقط يتراشقون بالسّباب والـ...؟!!

رياح عاتية:

.....

الفرس

أشرد... أفكِّر في نهرَي دجلة والفرات المخضَّبين باللون القاني إثر وحشيّة غدر الفرس... التتار صفحات الكتب، تنداح حروفها تطفو تدثّر ذراع طفلة تسير باتجاه مجرى الدّم المتخثّر. خطف السّؤال قلبي...

– (خارطة الطَّريق)؟!

ضحكت من القلب بلا شفتين أو قلب يهتزّ. نظر الطَّبيب في قاع الحدقتين... ترتسم كلمات العنجهيَّة على وجهه... أكره رائحة البايب... التي يمسك بها شعيرات (السّكسوكة).

– لديك قصر نظر شديد يزداد بحدَّة.

سدَّد إليَّ السّؤال واقترب... أردت أنْ أركله.

– ألا تلاحظ؟ هه؟

ارتبكت... لكنّي عدت للشّرود في كتاب لم ينتهِ بعد. قبل أنْ أغلق الباب.

– هناك عمليَّة لجرَّاح أمريكي شهير.

إنه يستأصل... هههههههه... أغلقت الباب بحدَّة، "ويكشط"، أيضًا).

لم أعلِّق.

عدتُ إليه سريعًا، نظرت على الحائط... لم يفزع.

– كنت أعلم أنَّكَ ستأتي مسرعًا، تسألني عن شيء وعندي الإجابة، أشار بقدمه نحو ورقة من الورق المقوَّى.

– (لم أسأله)؟

– (إنَّها مسودّة للخارطة... خارطة الطَّريق).

ظلّ يضحك حتّى في أحلامي... وأنا أتزاحم في "أوتوبيس ممتلئ"... أو شراء قطعة من الجبن... أو رغيف عيش. هل نحن في عصر السَّبعينيَّات أم الألفيَّة الثانية..؟! أم الصّدام الأخير؟!

مزدحمة الشَّوارع... ينصتون لرجل يحارب (بمايك).

العلوج ستبيدهم قوّات صدام المفدّى... ما عندنا نووي... إسرائيل لديها هل؟؟ فكّر أحد يقترب من القطّة المدلّلة للأمريكان... لا وألف لا... لدينا صواريخ ورجال (أجوى)؟!! من الشّوارع... قوّات حرس صدام كلّ رجل بألف رجل... سنبيدهم عن آخرهم... نحن بلاد لها جذور تاريخ سبعة آلف سنة هم أربعمائة عام، بل ومغتصبون كحجّة المفدّى، هي بلاد (الهنود الحمر)، وسنعيدها لا... (لفاسكو ديجاما)... أو الانكليز... أو البرتغال... أو الساكسون. أو جورج الأوّل أو واشنطون الأوّل أو الثّاني أو بوش الأب أو الابن، بل لأصحاب الشرعيّة.

سنعيدها لهنودها (بحماس) ولن نلقي بالاً... بخيبة، أقصد بهيئة الأمم المتّحدة (الفاشلة).

تصفيق حاد وتهليل.

أنا (أجول) الأسبان لن يفعلوا الغلطة مرّة أخرى... لهم ثيرانهم يناطحونها... إنّنا بشر يا بوش... لسنا دمية.

تصفيق، تهليل.

الكلمات نفسها حفظتها أردّدها وأنا نائم... حتَّى في قبري... سأردّدها؟!!

(الجينز) الضّيّق... العري... الملبس الأسود حشمة، الكلّ لا يخلو من الرَّفض...أسأل نفسي؟

– هل ستخلع الفتاة ملابسها عن آخرها كي تتزوَّج...! نسير في اتّجاه مضاد...! وبلا ضادٍّ... أسوأ ما غضضت بصري عنه (الصرّة) التي تبرزها فتيات العصر الصّدامي. يشمئزّ البعض من القبح، يهربون لدروس عمر خالد... خصر الفتاة النّحيف. رنّات الموبايل... (الحجاب) أخيرًا السَّجائر علنًا، أمام الأب الحائر لطلاق ابنته؛ وفرار ابنه من زوجته؟!!

– ما... النهاية...؟!!

– ماذا تقرأ يا أبي؟!! النّت ألغى الكتب؟!!

أعرف العالم من (البي بي سي) أو الجزيرة (العدوّ). ابن سينا ابن خلدون... الجبرتي... السّيوطي... الرَّازي... ابن إياس... محمَّد علي... ناصر... الماضي!!! والمستقبل؟؟؟

هاني: ٢٠٠ صاروخ نووي في موضع استراتيجي.

الأب: ...؟!!

– بمعنى، تحضير الصَّاروخ في ٤٥ دقيقة... تمَّ تنشيط ٢٠٠ حتَّى باقي على الإطلاق ١٠ دقائق فقط!!!

الابنة: هاني هات سيجارة؟!!!

الأب: وإيه المواقع دي يا ابني (لم يزل كتاب يصف بشاعة التتار لتقتيل أهل العراق في يده مفتوحًا).

هاني: لو تصوّرنا مثلاً... أهم موقع استراتيجي ينسف الثَّورة وعبد النّاصر والسَّادات كامب دايفيد... لتحيا... "الكويز" ويبقى الأمل في تصدير الغاز المدعم لإسرائيل؟!! لينهار شموخ السدّ!!!

الابنة: وعيالنا...

طوى الأب صفحات الكتاب وضعه فوق ركام الكتب يعلوها كتاب عن أحمس قاهر (الهكسوس)... أغلقه... أغلق صمام القلب.

الطَّبيب أكَّد أنَّه عاد لحالته الطَّبيعيَّة... إثر الصَّدمات الكهربائيَّة (بل سمع خبرًا سارًّا من إحدى الممرّضات).

– ابني رجع من العراق بأعجوبة.

وهو جالس.

– ألم يمت؟! (قالها الرَّجل) زغاريد في أروقة المكان.

رنّات الموبايل كأنّها مبارزات شخصيّة. الكمبيوتر (للجيم) والريسيفارات (للموسيقى)، والنت للصور العارية (للنّساء).

– الاهتمام بالغ بالبورصة... غارق في أوحالها قليل من الرِّجال يهتمّون للقضاء على الطَّبقة الوسطى حتَّى نعود لطبقتي الغنى والفقير.

– الغني (المستثمر)... "الإقطاعي".

– الفقير (...) "الغلبان" محتاج واسطة لتعيين ابنه خريج جامعة ليعمل في "بوفيه".

– واحد شاي.

– واحد سحلب... وسحلبه.

– .....

(أو في تنظيف دورات المياه... في معيّة (الغنى)...

أو .....

الدّستور يقول مَن يملك ٥١٪ له الحقّ في تغيير الدّستور...

- نودافون تملك ٦٧٪ و... (يهوديّة المنبع).

(سمعت أنَّ فرعًا من نهر النّيل يصل لإسرائيل).

- أربعة قتلى مصريُّون على الحدود.

- أربعة قتلى من المصريين لحماية السّفير الإسرائيلي في مصر؟!!

لا تعليق.

الأولاد حولي... عزلة شديدة أشعر بها... الهاتف النقَّال على الأذن في انفراد... السّؤال يدور في رأسي:

تفكيك...

تدمير... تفتيت...

مهمَّة استراتيجيَّة...!!

القطب الواحد... إدارة أمريكيَّة واحدة... ونفس المسرحيَّة الهزليَّة.

- (في صوت خفيض: أكيد استخدام أنواع جديدة من الأسلحة - (تأثيراتها) _ على البشر.

<u>تشخيص مبدئي...</u>

استئصال المرارة... أشعة على الكبد و... و... و...

– انصياع.

تذكَّر الرَّجل ذو "البايب" خارطة الطَّريق... التتار... أطفال الحجارة... ٦٧ ... ٦ أكتوبر... الحروب الصّليبية.

– جورج بوش قالها.

– بس تداركت "أولبرايت الموقف". (قالتها ابنته).

أمسك الريموت... الفضائيَّات... اقرأ... دريم٢... دريم١... النّاس... الحقيقة... أون تي في... هيكل أخيرًا يتحدَّث في السي بي سي!!!

تمرّ السَّاعات... تفرّ الأيَّام ... جون كنيدي... مصرع الليدي ديانا والجديد... في قناة موفي موري موبي... الكورة... الدّراما كلّ حاجة في TOB تابع وادفع.

– ما تتعلَّم الكمبيوتر يا بابا (قالتها الحفيدة... تشبه زوجته الرَّاحلة) أخرج من معطفه شيكولاته، رفضتْ بشدّة إنّها تريد نوعًا آخر... (أمريكيًّا) وفي الأغلب (يهوديًّا).

– (رأيت العلبة نفسها عند طبيبي النّفسي ذي البايب).

- كونداليزا رايس قلقة بتصريحات نجاد.

لست أدري لماذا؟ أشعر بفرحة أو سعادة أو زهو ما، أوقفني دون الحاجة للعصا.

أحفادي يضحكون، ويصرخون في وجوه آبائهم.

لم استحييت أن أسأل هاني عن رعد، وبسمة عن (العكننة) بينها وبين زوجها "راشي".

نظرت للتليفزيون أشاركهم ضحكاتهم، وجدتُ الاسم أسفل الجانب الأيسر (ديزني). بعد عدّة أيام تركت مكتبي... وظللت أتابع قناة مخصّصة للحيوانات... وديزني (اضطرارًا) والقاهرة والنّاس. وأختم "بالمجد".

- في انصياع...

- عش حياتك يا أبي متعصرن وإلا الطحن... والاكتئاب و...!!!

سألت: ...؟؟؟

- متى بُنِيَ هذا السّور لعزل أراضٍ فلسطينيَّة عن بعضها البعض... الضّفَّة عن رام الله... عن عكا... عن يافا... عن غزة.

- يا بابا مفيش حاجة اسمها يافا أو عكا أو أورشليم، ده في فيلم صلاح الدين إخراج يوسف شاهين وبس.

تعصَّبت... وجدتُ الجميع ينظر لي بعين الشَّفقة... فهمت مغزى النّظرات.

- ما تجيبوا ديزني...!

فرح أحفادي جدًّا وتعلَّقوا بي، بعد عدّة دقائق كنت ملقىً على قارعة الطريق... اتَّصلوا بعربة الإسعاف... صوتها يدوِّي في أذني... علي جانبي العربة مدموغ ببدج لرجل يشبه ماكدونلز... كنتاكي... يعلّق إحداها في برواز أنيق... الرجل صاحب البايب (أشهر وأغلى طبيب نفسي) أتى به زوج ابنتي المزدوج الجنسيَّة "الأمريكيَّة المصريَّة"؟!!

المكان كأنّه منتجع أو معتقل... اليوم بمئات الدولارات... التّكلفة الإجماليَّة بعد الخروج ثلاثون ألف جنيه. وجدت نفسي في عالم آخر... تعامل آخر... ملابس أخرى... لغة أخرى، حمَّامات... تدليكات... أدوية... حبات... وبديلات كأوراق الشَّجر وغيره... استرخاء... هدوء... الجلوس وسط أشجار

وزهور... طبيعة. بعض الحيوانات الأليفة الصَّغيرة... (النرس) تعطيك طعامًا لها وهي محبوسة فقط فتحة صغيرة لتأكل منها... نسيت مَن أنا؟!!

– ... كيف جئت؟

– متى...؟

– لماذا...

بإمكانك أنْ تفتح لها بعد الانتهاء من الوجبة لتعود إلى منزلها... أسرتها المحبوسة، المتشوّقة لها... وتهزّ ذيلها عندما تمرّ بجانب حجرتهم الزّجاجيَّة... لكن ليس معك طعام، النّرس تعطيك وجبة كاملة؛ حتَّى تظلّ جائعة تنتظرك... لها مدخل مخصّص تضع فيه الطَّعام... تضغط زرًّا أخضر منطفئًا ينير... فيدخل الطَّعام، يأكلون الفتات بنهم... يهزّون ذيولهم... تضحك من القلب... يساورك شعور جديد ولد تلك اللحظة.

تدخل حجرتك ترتدي ملابس أخرى، تختارها بنفسك دون سؤال من أحد، فلديك زي طيَّار... طبيب... قبطان... كي تحضر حفلاً بسيطًا ليس به دخان سجائر... نقاء... نقاء...

***

سألت حوريَّة... كانت أقلّ جمالاً ممَّا تصوّرت ممن أجدهنَّ في الجنّة (لكن الجنّة ليس بها حيوانات) بدأت أضطرب.

– لماذا أرتدي الملابس... أليس لي جناحان أطير بهما.

ابتسمت... والأخرى انصرفت تتحدَّث في الموبايل ناديتها...

–ألديكِ موبايل كارت ولا بيزنس، ضحكت حتَّى وقعت مغشيًّا عليَّ من جديد.

نور في عيني مزعج.

– ما هذا؟ حاسبوني وانفضوا...

كانت دلفت إحداهنَّ.

– لابدَّ من مشاهدة التّلفاز حالاً.

ذهبنَ... ذهبت لحجرة بها جهاز تلفاز... كانت العيون ترصد كل المسطّحات.... يفرح البعض لسقوط تمثال. أعرف الرَّجل اختلفت معه... لكنّي أعرفه... جندي أمريكي يرفع يده. يضاهي أوَّل أمريكي تلمس أقدامه أرض القمر في عهد كنيدي (اغتالوه لممارساته المشينة مع مارلين مونرو (هكذا سمعت).

– الحادث الغامض نفسه لديانا.

صفَّق الجميع لنيكسون بعد عمليّة يونيو ٦٧ وموشى ديَّان ومائير. صفَّق الجميع لرونالد ريجان حين ضربت بوارجه مدينة (سرت) الليبية.

– توقّعت أنَّ القذّافي سيدفع الثّمن في (لو كيربي) حتَّى إذا كانت الفاعلة عصابة من القوَّات الكوماندوز الإسرائيلي أو الأمريكي. الأحداث توضّح أنّنى لم أمت لم أزل حيًّا؛ التمثال الذي سقط بالفعل لصدَّام حسين، تمامًا حينما جاءت اللحظة المناسبة لقتل العرب وذبح أمانيهم عند منعطف فرحة الانتصارات المتتالية المتحدّية لقوى العدوان عقب حرب اليمن؛ فاغتالوا أغلى رجل عسكريّ عربيّ في العصر الحديث حينما يذكر اسمه تشتعل جمرًا و تهدم الجبال لتقيم سدًّا شامخًا من عصر (ناصر).

– هل سيأتي رجل مثله؟!

يبقى عشرون دقيقة أو عشر... أو خمس لضرب تاريخنا. بصاروخ نووي محدود، فلا يضر أمن إسرائيل ولا مواطنيها ومن الفرات للنّيل أو من النّيل للفرات المسيرة واحدة. الاتّشاح بالسَّواد لون واحد.

– أين؟!! حرس وقوّات صدّام (المفدّى) وأين صدّام نفسه؟؟ وأين ردّ الفعل العراقي؟!! حينما تمَّ ضرب المفاعل النّووي العراقي بصاروخ إسرائيلي.

– أين؟ أين؟!

تراصَّت الجرائد فوق المنضدة... بالأمس لم نره أو قبل ذلك؟!

– الإصابات لم تقدر حتَّى الآن؟!

– لكن الأهم ولا جندي أمريكي أصيب...

يهلّل الجميع... يفرح الجميع... يغنّي الجميع... أنشودة السَّلام الوطني الأمريكي ويضع يده اليمنى فوق القلب. نظرت إليهم و إليهنَّ... حاولت أنْ تهرب منّي؛ ناديت:

– فريدة.

– بنت فرحات...!!!

بنت الشّيخ المحمّدي عامر...!

عادت إليَّ بوجه مكسور ثمَّ صرخت في وجهي:

– (أيوه).

ثمَّ رقصت بخلاعة مشينة.

– بس معايا الأمريكاني... أيوه يا صاحب المبادئ العظيمة.

–أفيقي من أحلامكِ الغبيَّة...؟!!

–أنا معايا جنسيَّة أمريكيَّة (قالتها بوقاحة).

نظرتُ إليها:

– العيب ليس فيك أو نقص فيَّ.

صرخت:

– لا، العيب في الكلّ.

طوّحت الجرائد في الهواء.

– سقطت صورة الشيخ ياسين... حاولت أنْ أحضنها قبل أن تسقط على الأرض، في هذا المكان المبهم، وقعت على الأرض... هرعوا يعتذرون... نطقت.

– الشّيخ ياسين...

قال أحدهم:

– تعيش وتفتكر.

لطمة قويَّة فوق الصَّدغ...

***

–أين أنا...؟ مَن أتى بي؟!!

حقنة أسكتتني، عليَّ مطاردتهم بأسئلتي، وجدتُ عددًا كبيرًا من البشر... مصريين... (بلوفر) و(بنطلون) و(قميص) ينادونني باسمي من الخارج بصوت عالٍ:

– أخرجوا رجل الوطنيَّة و الحريَّات...

– فارس عنتر يا وطنية ما يكفي ألف فوق الميّه...

– طه النّبى عليه صلاة الله وسلم...

– سليل الطّهر... يقهر الحديد... لو دهب مش مغنواتيه...

– اخرج للعالم احكي وقول مصر مصر هي بلادي جوَّه القلب... هي فؤادي... ياللا قوم اتكلّم.

***

أبدل ملابسه بسرعة... ارتدى زيّه المعتاد عليه... في ساحة كبيرة ملأى بأناس مصريّين يسألونها عن جنسيّتها.

– مصري... مصري.

– مصري وبس.

– مصر بلدي.

داخل الصوان يتحدَّث... وهو جالس كانت كاميرات عديدة أمامه. كان مندهشًا لما يحدث... نظر لمَن يجلس بجانبه، كان أخاه الذي خرج من المعتقل منذ أسبوع وعرف بما يحدث؛ شكر الجميع عمَّا حدث... وسجد لله وامتنَّ لكلِّ مَن تقدَّم لرعاية صحته من أبناء وأصدقاء، وطالب بلطف المصورين وسألهم أين بلادكم... عرف أنّه في قلب العالم... أمريكا فرنسا إيطاليا هولندا ألمانيا روسيا الصّين اليابان وكوريا، وكثير من الدّول الأخرى... نظر إلى شماله، وجد رجلاً يضع سمَّاعة في أذنه وبيده جهاز لاسلكي. نصحه أخوه محمود أنْ يتركه يفعل ما يشاء، و نفعل ما نشاء، و سأله هل تريد أن تتحدَّث إلى المصريين وتدلي ببعض التَّصريحات للأجانب... اقترب منه و همس.

– هو في إيه... إيه اللي حصل لده كلّه همَّا غلطوا وافتكروني النَّحَّاس باشا و لا إيه؟!

ضحك محمود ثمَّ قال في أذن أخيه الأكبر الذي يسمع بصعوبة.

– وجدوا صورًا لك مع عرفات ونميري وعبد النَّاصر والسَّادات، و معمر القذَّافي.

وبعض رؤساء ووزراء الخارجيَّة حينما كنت تشغل منصبًا مهمًّا بالإضافة إلى دور...

– أي دور.

– ... الـ

– مش مهم... المهم الشّيخ ياسين مات.

استشهد بصاروخ وهو ذاهب يصلِّي الفجر وبعدها الرَّنتيسي وتمَّ القبض على السَّمكة الثّقيلة (البرغوتيَّة) ما زال في المعتقل.

– الأمريكان في العراق.

– هل الدّور على سوريا أم مصر؟!!

– واليوم اغتالوا "قصيّ" و"عديّ" أولاده وغدًا سيقبض على صدام.

صمت هنيهة.

– لن أفلح في أن أقول شيئًا اليوم ألا يكفي صورتي وخروجي وتلك الهمسات في الأذن؟ إنّها رسائل تعني الكثير إذا فكّرت لحظة.

رمقه من أسفل النّظّارة.

– أيّ كلمة الآن ونحن غير متوازنين نفسيًّا وجسديًّا وعصبيًّا. ستكون ورقة محروقة تمامًا مثل المذيع الذي يرمي الطّعم ويجعل كلا الضّيفين مشتعلاً نارًا متأجّجة تفتك بالآخر وأمام الكاميرا يكون مطفأة الحريق... وفي النّهاية تجده ضدّ واحد.

يقول السيّد فلان إنَّك ليبرالي... استقصائي... غير وطني وأنتَ لم ترد وأنا أضيف سؤالاً جاء بالإيميل... عام كذا كنت وفديًّا وتنصَّلت وعام كذا كنت ساداتيًّا وتنصَّلت... أرجو توضيح الصّورة... الكاميرا والميكروفون معك ولا مقاطعة.

– قبضوا على صدَّام، لكن لابدَّ من قول شيء مع الأسف (قالها في أذنه).

– (الطّعم ماشي يا محمود) سأتحدَّث بإيجاز اليوم؛ لأنَّ صحَّتي لا تسمح.

– لو كانت آخر كلمة لي في الحياة سأقولها، ولو بكلِّ اللغات التي تعلمتها... وسيكون لي معكم لقاء حرّ تسألون فيه ما شئتم لأنّني مجهد جدًّا.

– هل عذَّبوك بروفيسور؟

– هل حقنوك بالسمِّ والتّرياق أنقذك؟

– تتهم مَن برأيك...؟

– ...؟

– ...؟

– هل دار الاستشفاء المخصَّصة للعلاج بالتّرياق...؟

– هل تتَّهم شارون أو معاونيه؟

– ...

محمود

– لا تردّ.

– أين كان أخوك الأصغر؟

– في المعتقل.

تفجّرت علامات الاندهاش على وجهه، ثمَّ ضحك ليتدارك الأمر!!!

– هل محمود يحذّرك من قول شيء.

محمود: كلا بل أنصحه أنْ يترك المكان؛ لأنَّه خانق وسوف يغشى عليه، و نؤجّل الكلام.

– ...

مذيع: نحن على الهواء كما ترون والصّورة أبلغ من الحديث (رفع يده، فالكل صمت).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم... كلّ الأسئلة هي مجرّد سؤال أو فصل لرواية أمهلوني ساعات كي أعيش.

***

بعد اثنتي عشرة ساعة كان قد زار طبيبه المعالج، يقتحم الذّعر العينين... دلف العيادة دون مراقبة أحد.

– أفلت من العيون... استرح...

– ما الأمر؟

– عرفت أنّك تحتاج إليّ... (أَضاف).

– أتتذكَّر آخر حديث.

– أهو ضمن العلاج!

عينه... رأسه... قلبه... يتوجَّع.

– ما تلك الورقة؟؟!

– خارطة أو مسودَّة قديمة.

نظر إلى عينيه، ملؤهما الخبث.

ضغط زرًّا... انتفض... اقترب من اللوحة... بالرّيموت يفعل كلّ شيء وكيبورد وماوس، ضغط

– تلك خارطة الطَّريق.

تشمل جزءًا من سيناء وأجزاء من فلسطين ورسمًا توضيحيًّا لوجود أعمدة وقبوًا مكتوبًا عليه الهيكل بالعبري، وجزءًا من سوريا ولبنان وطريقًا من إسرائيل يمرّ بالأردن إلى العراق وطريقًا على السَّاحل يؤدِّي إلى تركيا عبر ساحل لبنان.

بحدّة:

– أمَّا الشَّرق الأوسط الكبير... ضغط زرًّا آخر وجد طريقًا مؤدّية عبر السّعودية إلى الخليج العالمي (العربي سابقًا) تتبدَّل البوارج،

الجنود خلال النّفق يرتعون... فوق الكباري يتسامرون... يعربدون... الفائز يصل إلى مطار اللد الإسرائيلي الأوَّل ويحصد الكأس يملؤه نشوة الانتصار.

ثمَّ رفع علم دولة كردستان (الجزء الشَّمالي من العراق سابقًا). الخصر لازال يضمد جراح أهل البصرة... الموصل وخفق بغداد (دولة العراق حاليًا)، قوَّات حفظ السَّلام لم تزل تفصل بين جنوب العراق... تحرَّكت عيناه نحو بقعة في الشَّمال الشَّرقي.

- أعرف ما يدور بخلدك أصبحت أفغانستان وما تبقَّى من الجيش المتأمرك (السّود) بقعة واحدة تزاوجوا... مساحات كبيرة تشغلها قوَّات النيتو (حلف الأطلنطي)... ينتظرون هجمات العصابات الإرهابيَّة (طالبان سابقًا) تزرع الكمائن لهم وتصد المقاومة بكلِّ عنف.

- ...

(ازدادت كميّة مزروعات الهيروين... الكوكايين... الحشيش... الميرا...جوان... البوراكين أغلى سعرًا... النّروف... البوف...).

أطلقتْ إيران صاروخًا... (بدأ يفقد جزءًا من الوعي...).

اقتحم المكان شخص.

– مَن أنت؟

خلع الاكسسوارات المستعارة.

– محمود... يقولها... بصعوبة.

– مَن دلَّك على مكاني؟

محمود: البروفيسير الصَّغير الرَّاشي.

– معقول... الرَّاشي.

– المهم لماذا جئت؟

أشار عليه بإصبعه السّبّابة.

– طبيبي الشَّخصي أعلى سعرًا في العالم، البروفيسير الرَّاشي أتى به ليتمّ شفائي.

فقد الوعي... تمَّ وضعه على بعض الأجهزة... صوت النَّبض تعصف ضرباته حتَّى غرف ودهاليز سحيقة من القلق المتراكم... يصمّ الآذان... تنتظره بشغف حين يدوِّي بعد ثوانٍ من الارتخاء، يصل حتَّى أطراف النّخاع ويعيد الكرة... يعدّ الدَّقائق... تفرّ

السَّاعات، تنهمر الثّواني، اليوم كشهر والشّهر كأعوام! ننتظر من جديد!!!

حركة تشنجيَّة تفاجئ الجميع، تستوطن في القلب، يهرع النّخبة ذوي الزّيّ الأبيض كأنّه بدلة عرس، الأطبَّاء يلتفّون، علامات الدَّهشة... التّعجّب... تعلو فوق الرُّءوس ترتسم على الوجوه... تخصّصات متعدّدة لازالوا يتحادثون أثناء حركات الممرّضات المتأنّقات ذوات الماش الذي يبدو من إحدى الجوانب، الساساتر في اصطفاف، مشارط مرعبة رصّت بعناية فائقة. أكياس الدّم تتحرَّك فوق عربة دون صوت... عيّنات التَّحاليل تحت المجهر... يتحرَّك أحد الأطبَّاء بخطى واثقة... ينظر باستعلاء يشير بإحدى أصابعه، تبدأ الصّدمات الكهربائيَّة في الصَّدر.

لازال ممدّدًا فوق المنضدة ينظر محمود إليه بعطف الكلّ يعمل كخليّة نحل، كأنّه في حفل رتّبت فقراته. هرع الرَّاشي نحوه يهمس في أذنيه أدار محمود ظهره. أصر... دفعه محمود بعيدًا.

(تركوا الرَّجل فوق المنضدة حدَّقوا فيه. أحدهم نظر إليَّ تفحَّصني جيّدًا كنت أعرفه، تجاهلني اقترب منّي شخص ما يرتدي زيًّا "مميّزًا" أراد أنْ يصطحبني للخارج نظرت إليه بتحدٍّ... انصرف. لازال المصوّرون والإعلاميّون بالخارج ينتظرون بشغف التّصريحات النّاريَّة، فجأة أصبحت العائلة حديث النّاس؟!!

– .....

***

يظهر على شاشة التّلفاز... الخزي يعلوه والعار يلحق بصاحبه. الرَّجل الإسباني انسحب من المؤامرة. أصبح بوش وبلير عند حافّة الباء. رميت نفسي من أعلى، إنّهما يمتلكان عصب الحياة (شركة دواء عالميَّة) (لن يحاكما كمجرمي حرب ولن توضع الإدارة الأمريكيَّة في حبل المشنقة، لكلٍّ مأزق مخرج، تدابير تحدث لن يفسرها أحد...).

في لحظة التَّخدير بعد موجة التَّشنّج القابعة في القلب لم يزل محمود يرمقني، لم أشاهده بعيني مجرَّد إحساس رأيت ثلاثة أشخاص... يزداد التَّخدير... الأوَّل بين الحياة والموت يحاسب

على كلّ شهيد لم أصدّق الشّيخ ياسين مات رغم اختلافي مع فكر حماس... يزداد التّخدير بعمق، سألت:

– هل هذا شارون؟ همس أحدهم في أذني قيل إنّه أحد الرّوحانيين (إنّه صانع الثّور ذي الخوار الذّهبي).

– إنّه السّامري لم يمت، أمّا المسخ لم يهبط بعد والدّجل يتجرّعه.

– إنّه رجل آخر الزّمان؟!!

أمّا الرّجل الثّاني سمّه شارون (السّامري وحرمه من التّرياق)، وكان قريبًا من جبل عرفات، أمّا الثّالث خرج من الحفرة وبالسياط ذهب إلى المشنقة.

***

أفقتُ من أثر الصّدمة الموقظة للقلب الميت منذ ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين عامًا، أو من تأثير التّخدير الذي انداح في الجسد المرتمي فوق الفراش... أنابيب عديدة في صدري في الذّراعين... صوت جهاز النّبض يخفق بأزيز... نظرت إلى

اليمين، كانت الكاميرات خلف الزّجاج تلتقط الصّور... تتحدَّث بكلِّ اللغات... الميكروفونات في كلِّ موضع تتلهّف لكلمة.

(كم وددت التّحدّث إليها كثيرًا "أفضفض" نظرت إلى اليسار توقّعت محمود أخي الأصغر الهواء الذي استنشقه وددتُ أنْ أسأله عن الرّئتين ابتسم... أزاح من فوق القلب أثقالاً وهمومًا... بحجم جبال تفوق الهيمالايا) اقترب من أذني.

- لا تذهب لهذا الطبيب ثانية...؟!!

أمامي بخارج الغرفة كان يقف، انتفض محمود هرع نحو الباب، طرده بفظاظة. الفلاشات كانت كشلال من الرّصاص توخز العينين، أشرتُ إليه بصعوبة شديدة، عاد محمود يجلس بجانبي.

- مَن يكون هذا الطَّبيب؟ ومَن جاء به إليّ.

- جاء به زوج ابنتك الرَّاشي.

- أغلى طبيب في العالم و... قاطعه.

- اسمه ميشيل شالوم.

علامات الدَّهشة ترسم أخاديد جديدة فوق وجه الرَّجل لم يتصوَّر أنْ يكون الطّبيب صهيونيًّا، خنجر في القلب طعنه، لم يهتم

الرَّاشي بتاريخ العائلة الوطني، سالت الدّموع من عينيه وضع رأسه محمود في الأرض.

– خرجت من المعتقل حاولت كثيرًا منعه.

تحرّكت يد الرَّجل العجوز نحوه...

– فعلت دورك علينا حصاد مَن أحببناهم، المسيرة ستستمر بدونك... بدوني... لكن... ستستمر.

أمسكت وجه محمود.

– أمَّا الجديد... سيشنق صدَّام بعد القبض عليه من الحفرة.

تعجَّب محمود وهزّ رأسه... علمت أيضًا أنَّ شارون في غيبوبة وعرفات البقيّة في حياتك.

– هذا ما رأيت هل تصدّق؟

انفجر محمود من البكاء... ارتمى فوقه... أصوات الإنذارات أفزعتنا... عشرات الممرّضات كانوا بالحجرة، أخرجوا محمود بالقوَّة الجبريَّة... بعد أسبوع خرجت من المنتجع، لم يزل عشرات المصوّرين والصّحفيين بالخارج... كنت أحدّثهم خلسة بلغة الصّم والبكم كلَّما نزعوا من جسدي أنابيب أحد الأجهزة

فقدت النّطق والكلام عند باب المصوّرين، سقطت... شلل نصفي... انصرفوا جميعًا ولم يهتم أحد بأمري، سألت أحد الساتر وأنا أركب السّيَّارة السّوداء عن محمود، لم يجب أحد... لم أستطع أنْ أشير بعلامة النّصر، كان شالوم ينتظر عند منعطف الطَّريق.

***

– أعلم أنّك تودّ أنْ تعرف أين محمود وتلعن (الرَّاشي) انظر.

فتح (اللاب توب) الخاصّ به ضغط زرًّا ظهرت على الشَّاشة الحدود السّياسيَّة للشّرق الأوسط الكبير تحمل علمًا يشبه (الأمريكس... عفوًا... الهكسوس) ليس به بلدان عربيَّة! ضحكة من القلب خرجتْ من فم شالوم... كانت تتطاير نتف من إحدى الأوتاد التي تشد بقايا خيمة ملقاة في صحراء التيه مكتوب أسفلها بالعبري:

(مخيم للاجئين)!!!

4

انعتاق

الحيرة تصطكّ بعينين ملؤهما القلق... تلتقط الأحداث صورًا عديدة... أجترّ تفاصيلها في المساء- الشّعر المصبوغ، عنّفه الرّيح، فارتجَّ، لهفة تتدفَّق في عروق القلب... أستمرئ دفئًا... صاحبة العينين الملوّنتين تثير في الصّدر سخونة مولعة... أثواب مطرّزة مزركشة التفاصيل... أفضي لليل الطويل تفاصيل تعاريجها... انحناءاتها... ما تحوي من بضاضة.

لم تزل بيدي الورقة... ألقيتها في الهواء... تهاوى اليوم على الأرض المصبوغة بالصّفرة. كانوا يخطّطونها عساكر المرور... تطؤها السّيَّارات التي تفرّ... تمحوها الأقدام... التصقت الورقة... التي تكوّرت من انبلاج الليل... تلوّنت أصبحت أكثر شحوبًا، حوافها... اجتاحت صفرتها تفاصيل اليوم والشّهر والسّنة...

وساعات تعوّدت أنْ أنزعها كلَّ يوم من فوق الحائط... أجتر الأيَّام فوق الدّرج... انفلت من انقباض ثوانيها مسرعًا.

هكذا تفرّ الأيَّام... تنعتق من أسر الحوائط والعيون... أبعثر السلام فوق الوجوه الكابية في المصلحة. عند الباب ترشقني بغضب إحداهنَّ وتلوّح بيدها... يتبعثر اشمئزازي... ينصب فوق وجهها... حلقي لم يزل جافًّا من أثر الأدوية، أرتمي على أحد المقاعد... قبل أنْ أنطق... تمتزج السّخافات من الألسنة... تنسج عناقيد من الثّرثرة... أخوض في براثن الحنق وعباب التّململ، كفّت الأنفاس وانتظمت... الصّداع ينتابني... يشرخ جمجمتي. قال النَّاصحون (أسباب نفسيَّة)، وآخرون (كف عن الأدوية... استخدم الأعشاب)، سألني أحدهم بخبث.

منذ أن جئت لهذا الفرع ينتابك هذا الصّداع!

انتهيت من إجراء عملي... لفظ القلم مرارة اختلطت بالأحبار فوق الأوراق، شعرت بالتّقزّز.

- هل تصدّق أنَّ للكلمات رائحة.

صمت برهة... ابتسم في تأسٍّ. همس:

– سوف أسعى في نقلك.

أثار الهمس فضول البعض... لفحتني نبرات ضخمة لاذعة. أفرغت رصيدًا من الغضب. يكمن في رأسي... ازداد الصّداع... تميّعت الحروف في حلق البعض... انخرس البعض الآخر... ابتسم لغضبي من خلف نظّارته السَّميكة. كان يرقب ما يحدث بلا مبالاة. استكانتْ في قلوبهم أشياء لا أعرفها. غمزت الفتاة اللعوب... انحنى ظهر النّحيف؛ ليستمع لحروفها المشبعة بالغنج... ابتسم البدين في خبث وهو يدفن نظّارته النّحيلة في الجورنال. تعجّلت الرَّحيل... كانت عيناي زائغتين... غير مركّزتين على شيء محدّد. أشار الصّعلوك لإحداهنَّ. دسّ كلمات خفيّة... تظاهر الآخر بمعرفتها. اتّهمني زميل ساذج بالحبّ... رماني آخر بمطلع لأغنية. انفجرت إحداهنَّ بميوعة. كانت ترقب الأحداث بعينين ناريّتين... انفجرت فجأة... مذعورة الفئران... هرعت إلى جحورها. تفرّ خلف كلماتها.

نظرت إليها... هززت رأسي بتعجّب... رشقت عيني في وجه الرَّجل البدين. كان يبتسم بمكر. تململت، زفرت في ضيق...

أطلقت رئتي بعض الضّيق، الصّداع يشطر رأسي، انطلقت إلى الشَّارع. كان الصَّخب يقذف بعض الحمم... رائحة أوراق تحترق، تنبعث من كومة. ترتكن على الحائط... يلفحها الرِّيح... تجتاح الخياشيم... احتراقها... تستقرّ في القلب، المتعب أرقامها.

– اليوم... الشّهر... السنة.

أسعل... مولعة الأدخنة... تزداد معاناتي... تفحَّمت الورقة تمامًا... تكثّف الغبار بصدري... ترنّحت الخطوات.

– لعين الصّداع.

ترنّحت الأفكار داخل جمجمتي... خلف زجاج المترو... تبدو الوجوه مختلفة... أترقّب موجات الأقدام المسرعة... أسلمت وجهي للكف المستند على حافّة باردة... ولّيت عيني للوجوه المعتمة... الوجوم يخيّم على حوائط البيوت... تطلّ رأس فتاة من شرفة لمنزل عتيق... أجول في ذاكرتي لأصحابها... تموت الثّواني في عيني. كانت مزهوَّة، تتبدَّد سحب معتمة ، تحرّكت عجلات العربة فوق الرَّصيف... يصحبها أزيز ثمَّ ضجيج شديد... رمتني بنظرة سريعة، ترتشق في أذني

حكايات مكرورة لأناس لا أعرفهم... تتشابه في النَّعاسة... الانفلات من قبضة الضّجيج الذي يغتال الأصوات... يزلزل صمتي...ألملم عشرات الصّور في الأحداق. تسقط بعض تفاصيلها عند رصيف محطّتي... أرتمي للفراش ولساعات الليل... تنزرع فوق الوسادة بعض الأشياء. الحنق يبزغ في الصّباح. أزفر في ضيق. لم تزل تتجسَّد صورة الفتاة صاحبة الشّرفة... الكلمات اللاذعة... مولعة في الصَّدر بعض ذرَّات الرَّماد، عدتُ مسرعًا صاعدًا الدّرج الذي طويته... نزعت الورقة فوق الحائط الذي يفحّ منه رائحة عتيقة... لم يزل يوم الأمس معلّقًا فوقها. تذكّرت الأوراق المتفحّمة... اللون الأصفر... الأصباغ... عنف الرّيح... النّفايات... الأحاديث المملّة. لم يكن حلمًا... نزعت الورقة. كانت تحمل اليوم نفسه. نزعت كلَّ الأيَّام... كانت مماثلة في أرقامها.

5

مرافئ التِّيه

تصاعدت الأبخرة حارقة... ألهبت العينين... غشى بصري... ترنّحت... جذبتني يد للخلف... سقطت في وسط الحجرة... عالجتْ أمّي وجهي بالماء... خرجت للشّرفة المطلّة على شريط التّرام مرّة أخرى، وبناية كليّة الطّب المتاخم للمدرّجات والمستشفى الميري... سقطت عيناي على أحد الجنود بشارع الاسكندر الأكبر. كان يتدرّع بواقٍ من الحديد... انهزم قصف الحجارة بها. قذف أحد الجنود قنبلة أخرى مسيلة للدّموع... تابعتها بحذر... تصاعدت أبخرتها، بعيدة تلك المرَّة عن مرفأ عيني... ألهبت حوائط البيوت... سقط عدد من الطلاب... دوَّى

الرّصاص يتراشق في جنبات شارع شامبليون... أوقظ حملة بونابرته... محمد كريم... السُّلطان حسين... لم تزل تتصاعد الأبخرة عبر الأفق... عبر النّظر الممتدّ حتَّى محطّة الرّمل، وساحة الجندي المجهول بالمنشيّة. لم يزل الرّصاص... يتفجّر. تبعثرت الأجساد عند محطّة سوتير... هرع بعض الطلاب إلى حديقة الشلالات... تدثر البعض الآخر بسور الاسكندريَّة العتيق... لم تزل تفوح رائحة البطالمة، وشهداء عمرو بن العاص... انسلَّ يفرّ من الموت... كان يهرع من رحاب جامع إبراهيم يتَّجه نحو سور الميري... دوي الرّصاص تفجّر في أذني... سقط الشَّاب على الأرض... يتفصَّد من كلِّ العروق دم غضّ... هرع نحوه بعض الرِّجال... سيَّارة تسرع نحوه... يفرّ صاحبها... يستعطف أحدهم وقوفه...

تزداد العجلات هلعًا... تتراشق جنبات السّيَّارة الأحجار من البيوت والنّواصي.تهرع سيَّارة أخرى. لم أزل أذكر أرقامها (١٨ /١٩واحد ٧٧) يلملم الدّماء السَّاخنة من فوق الأسفلت المولع...

تندفع العجلات... خلف السّيَّارة قطرات قانية تميل للسّواد. تتحرَّك سارية من الجنود التي تتابع الموقف في برود،وتأهّب...

– يادي العار... يادي العار.

– الأخ بيضرب أخوه بالنّار.

تزداد التّراتيل... تنشد... تئنّ الحروف في الحلوق... تمتزج بكلمات الدّكتور عصفور في جمجمتي بمدرّج الكليّة. لم أزل أذكرها... لم تزل تذكرها حوائط المدرّج الكبير.

– لا تخشوهم.

– الدّستور.

– تأكّد من عزيمة لا تكل ولا تنثني.

– التَّجمهر.

أمسكت بكتاب، لوّحت من الشّرفة بالسّطور. تتطاير الحروف في الهواء دون قانون يحكمها... تتبعثر... تصطرع فوق شريط التّرام... تهصرها. يتمزّق القلب للكلمات. جعرت بحنجرتي أهزم قصف البنادق... كانت تحاصر الألوية الحوائط... تنتظر إشارة أحد الضبَّاط... أصابع يتملّكها الصّلف والغرور... لم ينضج

شاربه... ينهش البعض أحشاء المحلات والدّكاكين في أوجّ النّهار. كان يبدّل البعض سراويلهم قبل الدّخول. الغضب اعتلى أحدهم... الحدَّة في النّبرات.

-انتفاضة لصوص.

يستاء أحدهم... يصفّقون في القاعات.

توجّهت بقدّمين مهزومتين نحو الكليّة. أزدرد لعابًا مرًّا... أستجدي كلمات أستاذ القانون. أستمرئ الحروف في أذني. أركل عبوَّة فارغة... تختزن رائحة البارود، وقنابل الدّخان. أتذكَّر نواح الجيران على ذويهم.

- أين ابني؟

- في المستشفى.

- بل في معتقل المغول.

تسبق خطواتي ظلال تمتدّ فوق الأرض... تمسح آثارًا عالقة من الدّماء المتخثّر، عند محطّة سوتير توقّفت إثر زعقة... أوقظت تراتيل بالرَّأس الموصوم بالأحداث... تطايرت الصّور من الأحداق... داستها أقدام عساكر الأمن المركزي... أنّت أوردة

القلب من إثر شظية لم تزل تستقرّ... ترتكن في أقصى الصَّدر. أحاطوني، أمسكني بفظاظة نحو عربة تكتظّ ببعض الشّباب، صفعني أحدهم عند محاولتي معرفة التّهمة. امتزجت بصوت أجشّ.

– تجمهر.

استقرَّت الكلمة في أذني التي لا تزال تطنّ إثر الصَّفعة. وحيدًا كان القلب... وسط الشَّارع الذي يخيّم عليه الصَّمت... تحجّر العبوس فوق الوجوه.

–لكنّي أسير بمفردي.

جعر في وجهي الذي ينثني للخلف مخاطبًا مصدر الصّوت. رأسي تدور بالأسئلة... أمسكني بحدَّة عند مؤخّرة السيَّارة القميئة.

شنقني من معصمي بدائرتين من الحديد. أنَّ القلب بشدَّة. حاولتُ أنْ أصرخ. كان خيط الدّم ينسلّ على شفتي. أشار أحدهم على ظلّي المدموغ بقطرات الدّم.

–التّجمهر لأكثر من شخص.

ينفلت الظّلّ من براثن أيديهم... يهرعون... ينفلت في الحارات الجانبيَّة... يهرعون... يرسلون إشارات خاصَّة... يهرعون... يصوّبون رشّاشاتهم... ينفلت من عيونهم الحصيفة.

– أحضروه بالأمر.

كان ظلِّي قد اختبأ بين شقوق جدران سور الاسكندريَّة العتيق عند باب شرقي.

– اهدموا الأسوار.

الصَّخب يعلو في جنبات العربة... تضجّ بالكلمات.

– قبضوا عليَّ بمفردي.

قالوا أكثر من اثنين تجمهُر.

– حينما أمسكَ الجنود، أصبحت ليس فردًا؟!!

بدأت معاول الهدم... تشقّ جدران السّور... كانت أنفاسي تتشقَّق... تتمزّق إثر الضّرب.

6

جثّة

(١)

"مِن تحتهم الأنهار".

(٢)

أمسكتها بيدي... اليد الأخرى تسدّ رائحة "الفورمالين التي تشقّ أنفي... أتذكَّر سنواتي الأولى في الكليَّة، لم يجرؤ أن يتسلل إليَّ الخوف كبعض زملائي. في تلك اللحظة، تسلَّل إليَّ شيء لم أره... لم أعهده؟!!...

أخيرًا ألقيت الجثّة فوق المنضدة... شيّعت الرّجل بنظرة أخيرة، قبل ضربة معقل النّور في العينين الشّاردتين، المرتحلتين، نحو.....!

آفاق لحظات لم تمت رغم مرور السّنوات.

(٣)

"وجعلنا بعضهم فوق بعض درجات".

(٤)

اتّشاح النّساء بالبكاء، واللغط؟!! إحداهنَّ همست في أذني كانت أمّي في غرفة المشرحة تستعدّ للاغتسال الأخير، كنتُ منهارًا. أغرق في لجّة الدّموع... قذفتني خالتي التي تجلس في البطين الأيسر من القلب المفجوع بوابل من الكلمات اللاذعة، لم تزل أمّي ممدَّة فوق الطاولة تنتظر، آوبة "المغسّلة". همست خالة أخرى كانت تمزح مع الأسرةبلقب "العسكري":

- أريد طقم القهوة.

نظرت للاثنين، لم أتذكَّر من ساكنة القلب "الإمّعة". وقلتُ للأخرى، بإمائة تدلّ على الموافقة.

-لم تكن أمّك وحدك.

قالتها صاحبة الرَّأي والمشورة، البيضاء التي تسكن في موضع الأخت الصّغرى.

(٥)

كانت أمِّي ممدّدة في صمت، تفرّ الدّموع من قلبي... عيني...

لم أنسَ طعنة الأمس.

-ربّنا ما يرضى عليك إذا لم تدعُ لأمِّك.

-ربّنا راضي عنه يا إبرجية.

قالتها بالإنابة خالتي الصّغرى. كانت قبل الدَّفن، لم أتركها في اليوم التَّالي. زوجها دفن مشاعره في القبر، الذي ينتظر الجميع.

-بالدور يا زبائن... لا يفر أحد... لا أحد يخدعني!

-.....

-لِمَ التّذمُّر... ليس هكذا.

-ليس الطّويل... أو القصير... الأوَّل.

-.....

-مَن أناديه... فقط!!

الصَّمت تسيَّد الموقف.

-ليست بالبدانة.

قطعت حدّة بكائي.

-أريد أنْ أكون الأوَّل، فصحّتي... معلولةو...

قاطعني بحدَّة.

-اخرس.

اغتاظ خالي... كان يتعارك مع زوجته، يهدّدها بأمِّي... كنت أرثي لحاله... دهمني بطعنة أخيرة.

-آيييييييه دنيا... واحد ورث... ثمَّ ترك ما ورثه.

-شششد حييييييلك.

رمقني بنظرة أخيرة أفهم مغزها جيّدًا... لم أهتم... دعوت له في سرِّي.

(٥)

عدتُ للجثّةالتي فوق المنضدة، أستعدّ للبدأ.

(٦)

كانت الأوردة بعضها فوق بعض، أنهار تهرع داخل أنابيب قانية، بعضها يتوق من الفرار إلى الفرار، تشتاق لنسائم الحريَّة... تخترق الكلمة الجمجمة.

-اخرس.

-.....

-أعددت رخامةمكتوب عليها اسمي

-.....

-ألم أقل لك تخرس.

-أحبابي كثيرون... النَّبيل... جدِّي هنادي... فؤاد... إسماعيل... وهدارة ولعشماوي و... وأمّي و...

-.....

-وبعض الأقارب.

-سأناديك... يومًا... ولن تفرّ.

طردني فذهبت.

(٧)

"أمسكت الذّراع مملوءة بالأوردة والعروق".

(٨)

"وكسونا العظام لحمًا".

(٩)

آثار دودة كانت تسري على ذراعي.

7

البحث عن الفارس الأخير

أحاطوا الميدان... موجات من البشر ملتحمة... لا يظهر شيء متكامل من أجسامهم... الصّدور... المناكب... الرُّءُوس تخفي أجزاء الجسد العاري. نقوش الفزع منحوتة فوق الوجوه... العيون الزّجاجيَّة مسددة لأعلى، يصفعهم القلق... الخوف في الأحشاء يستقر... صاحت فتاة متهدّلة الشّعر.

– سرقوا الفارس من فوق الجواد.

– كان يمتطي صهوته.

كنتُ أنتظر الصّيحة من آخرين... نظرات الغيظ تدثر اللحم... غرزت الأصابع في الذّراع... تحسّست شعرها بنظرات مملوءة...؟!! سارت، سار البعض خلفها... شقَّت طابورًا من المجون ممزوجًا بالوطنيَّة... لا فرق؟!! تقزّز؟!!

صاح شاب وقور بحماس، ارتفعت الألوية المنكَّسة من جديد... لم تزل بعض الأعناق تلتوَّى صوب المجون، يرسو فوق أسطح الوجوه الأخرى الوجوم والفزع. لم يزل يرقب كلَّ شيءٍ دون أنْ يشعروا... خيَّم الصَّمت هنيهة... أنصت.

(مصرنا وطنا... سعدها أملنا...

بلادي... بلادي... لك حبِّي و فؤادي...

سعد سعد يحيا سعد...

آه ده اللي صار... وآدى اللي كان...

لك حبِّي وفؤادي...

يا بلح زغلول... يا حليوة يا بلح...

أنا المصري... كريم العنصرين...

الاتّحاد والنّظام والعمل...

مالكش حق... تلوم عليَّ...).

انتزعت التّرنيمات من أذنيه... سقطت ممزّقة... أسفل قدميه... تحجّرت تجاعيد الوجه... انسلخت الابتسامة كانت

الفتاة تعبث في دائرة من... رمقها عبر الأفق... بسخرية يلبسون الطّرابيش الورقيَّة... زعق شاب طويل القامة... ردّد البعض خلفه.

- سرقوا الفارس.

- خيانة.

- فلنبدأ البحث عنه.

صار الموكب... تفرّ أصواتهم داخل أحشاء الشّوارع الجانبيَّة... أخذه الحماس... حملوه فوق الأعناق، انفعل... ألقوه على الأرض بسخرية... هسيس من أصوات المجون تصل إليهم... عند باب ضخم... عتيقة أسواره الحديديَّة... توقَّف الهتاف في الحناجر.

- خيانة.

كان السّيف مكسورًا... أكله الصّدأ... لم تزل بقايا دم متخثر تدمغ الحواف... جعر الحشد الكبير... ارتفعت هتافاتهم، لم يزل يرمقهم... يرصد تحرُّكاتهم... تحسَّس أحدهم لحم السّيف... لمح أحدهم الجواد... كان يمتطيه فارس... اندفعوا نحوه هتفوا.

- أين كان؟

- لعلّهم نفوه.

- أبعدوه عن الوطن.

خرج الملك... كان ينظر لأعلى.

- ها هو يخاطبه من فوق الجواد.

يردّدون...

- لن نكون تراثاً أو عقارًا.

- لن نورث...

- لن...

تمتزج الكلمات بصهيل الجواد... يتقزّز الخواجة... كان يهمس في أذن الملك... الفارس كالطّود يقبع... يرتعد الملك... يشرع في وجهه السّيف... ينصاع للكلمات.

- مراوغة.

- بل خديعة.

- لا يهم.

- يكفي أن نحتفل بهذا الانتصار العظيم، الجموع تهتف بحماس هستيري... أحاطت الدّروع أجسادهم السّاخنة

– ماذا تفعل قوّات الأمن؟

– قائدهم يشبه الملك.

– ليس بجانبه خواجات يهمسون.

– إذن لماذا أحاطوا بنا.

قال بوجه صلف.

– ماذا تريدون؟

– الفارس.

بسخرية.

– ومَن قال إنّه فارس؟!!

الدَّهشة تدمغ الوجه، تحطّ فوق الملامح.

– بلهاء.

– قيل إنّه سيحلّ مشاكلنا.

– أغبياء (ضحكته جلجلت المكان) همّوا بالبحث عنه في كلِّ الأرجاء... فتّشوا القصر، كان يتشابه في عيني بين قصر عابدين... قلعة الأطه... قلعة قايتباي مبنى الاتّحاد الاشتراكي بالمنشيَّة... منصّة عسكريَّة... تشابهت ملامح الفارس في عيني بعد أنْ رحل

كانت عرابيَّة... أيوبيَّة... وفدية... سكندريَّة... فاطميَّة... توقَّف البحث عند التَّلِّ الكبير... اقتربت منهم... رأوني لأوَّل مرَّة... قرأوا بعض السّطور فوق العينين الموغلة في الزّمن... تنبعث من الحروف رائحة مسك... روت مساحات القلب... أشار أحدهم ناحية الرَّجل المسجَّى... اقتربوا... كان راقدًا على ظهره... تتبعثر نبضات القلب المهزوم فوق الرّمال... تجلط خيط الدّم... مطعونًا كان في ظهره ببقايا السّيف... انضوت ألويتهم الصّدئة... تحطّمت... مزّق طرابيشهم الورقيَّة... نزفت اللون القاني المصبوغ.

السيرة الذاتية

-مجدي عبد النَّبي.

-عضو اتحاد كُتَّاب مصر.

_مواليد الاسكندريَّة ١٤-٩ - ١٩٥٩.

-المهنة/ كبير بدرجة مدير عام باتحاد الإذاعة والتّليفزيون المصريّ - إذاعة الاسكندريَّة- البرامج الثَّقافيَّة.

-الشّهادة/ ليسانس حقوق_جامعة الاسكندريَّة.

-كاتب قصَّة معتمد في الإذاعة المصريَّة منذ الثَّمانينيَّات.

-كاتب دراما معتمد من إذاعة الاسكندريَّة منذ التِّسعينيَّات.

• المجموعات القصصيَّة والرّوايات الصّادرة:

١-الرِّيح والعراء: قصص قصيرة صادرة عن وزارة الثَّقافة_مديريّة الثّقافة بالاسكندريَّة_مطبوعات القصَّة العدد (٢٤) ١٩٨٨.

٢_طيور بلا وطن: قصص قصيرة عن سلسلة إشراقات أدبيَّة العدد (١٣٤) الهيئة المصريَّة العامَّة للكُتَّاب ١٩٩٤.

٣_مرافئ التّيه: مشترك _الملتقى المصري للإبداع والتّنمية (١٩٩٨).

٤_اغتيال البحر: رواية (هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة. (١٩٩٨).

٥_الحاجز: رواية الملتقى المصري للإبداع والتّنمية (١٩٩٩).

٦_حارة البحر: روايتان قصيرتان... دار الوفاء للنشر

• تحت الطَّبع:

سراديب العتمة مجموعة قصصية

انقضاض "قصص قصيرة جدًّا".

كومة من الورق "قصص قصيرة".

حكايات الليل والصَّخب "رواية".

ملهى الأنس "رواية".

من صاحب الشّجرة "قصص أطفال".

جولات أدبيَّة وحوارات فكريَّة "مجموعة لقاءات صحفية".

الشَّاعريَّة في أدب مجدي عبد النّبي_تأليف / محجوب موسى.

• العمل الصَّحفي:

_رئيس تحرير نشرة هيئة الفنون والآداب.

_مدير تحرير جريدة الحياة المصريَّة عن الاسكندريَّة من عام ١٩٨٥ وحتَّى عام ٩٠.

_مدير تحرير مجلة الثَّغر الأدبيَّة.

_مشرف صحفي على صفحة الأدب بجريدة الأيَّام السّكندريَّة من عام ١٩٨٨ وحتَّى ١٩٩٠.

_سكرتير تحرير أمواج وراقودة.

_مراسل صحفي بجريدة السّياسة الكويتيَّة والهدف (الكويتيَّة) واليقظة وحوَّاء.

_مشرف أدبي في مجلّة البحيرة ومجلّة مجلتي.

• الجمعيَّات الأدبيَّة:

_عضو مجلس إدارة سابق بهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة بالاسكندريَّة والأمين العام المساعد.

_معتمد كاتب قصَّة منذ عام ١٩٨٨. ومعتمد كاتب دراما منذ التّسعينيَّات.

_رئيس إدارة لجنة القصَّة والثَّقافة والإعلام بجماعة الأدب العربي.

_عضو ببعض المنتديات الأدبيَّة وببعض محافظات مصر.

• المؤتمرات:

_مؤتمر أدباء الأقاليم في مصر الخامس ١٩٩٠_أسوان.

مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم السَّادس ١٩٩١ بور سعيد.

_مؤتمر أعلام دمياط ١٩٩٤ و١٩٩٥.

- **شهادات التَّقدير**:
  - حصل على المركز الأوَّل على مستوى جمهوريّة مصر العربيَّة في مسابقة نادي القصَّة باسم/ يوسف السّباعي وزير الثَّقافة السَّابق بالقاهرة برئاسة نجيب محفوظ عن قصّة الرَّحيل عام ١٩٨٩.
  - شهادات تقدير عن المسابقات الأدبيَّة عن نادي القصّة والهيئة العامَّة لقصور الثّقافة والمجلس الأعلى للثّقافة وإذاعة الاسكندريَّة والثّقافة الجماهيرية أعوام ٨٥و٨٦و٨٧و١٩٩٠.
  - شهادة تقدير من القناة الخامسة عن برنامج "شهادة تقدير"، إعداد وتقديم الإذاعيَّتان شاهنده حسين وسمر رفاعي.
- **النَّشر**:
  - نشر إنتاجه الأدبي والصَّحفي وكتب عنه في المجلات والجرائد الآتية:

- البيان الكويتيَّة-الوعي الإسلامي- هنا لندن - الموقف العربي- الثَّقافة الجديدة- القصَّة – الأخبار- الجمهوريَّة - المساء- النَّهضة الكويتيَّة- هنا الاسكندريَّة- الفكر التّونسيَّة- أكتوبر - عكاظ السّعوديّة – حوَّاء- الحياة- الأيَّام- بلدي – البحيرة- مجلتي.
- النقَّاد الذين كتبوا دراسات نقديَّة أو علّقوا في الإذاعة أو التّليفزيون على الإنتاج الأدبي:
- د.سيد حامد النساج _ د.محمَّد زكي العشماوي _ النَّاقد عبد العال الحمامصي _ د.محمَّد مصطفى هدارة _ د.محمَّد زكريَّا عناني _ د.فوزي عيسى _ النَّاقد محمَّد محمود عبد الرَّازق _ النَّاقد عبد الله هاشم _ الكاتب محمَّد عبد المجيد _ النَّاقد أحمد عمر هاشم _ النَّاقد كمال عمارة _ الأديب محجوب موسى _ د.نبيل نوفل _ د.السّعيد الورقي.

- **الإذاعات والقصص**:
- إذاعة الاسكندريَّة- برامج: (نادي القصَّة والمجلَّة الثَّقافيَّة ولقاء الأصدقاء وجنّة الأطفال).

- إذاعة البرنامج العام (مع الأدباء الشبَّان).
- إذاعة صوت العرب/ إذاعة الشّرق الأوسط/ إذاعة البرنامج الثّقافي (الثَّاني).

- **الكتب التي تناولت القصص بالنَّقد**:

١_كتاب نادي القصَّة، تأليف النَّاقد محمَّد محمود عبد الرَّازق.

٢_كتاب الرّؤيا الإبداعيَّة (القصَّة الشّعريَّة في الرِّيح والعراء لمجدي عبد النّبي) صادر عن دار المعرفة الجامعيَّة ١٩٨٨ بقلم الدّكتور السّعيد الورقي.

٣_الثّقافة والإعلام بين الواقع والطّموح ج ٣ (الواقعيَّة والفانتازيا في مجموعة طيور بلا وطن) بقلم/ محمَّد محمود عبد الرَّازق.

٤_فنّ معايشة القصَّة القصيرة بقلم محمَّد محمود عبد الرَّازق، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب.

- **البرامج الدراميَّة (تمثليَّات)**:

١_الرَّحيل - عن قصّة الرَّحيل الحائزة على المركز الأوَّل – إخراج: فيفيان محمود.

٢_عسكري الدَّوريَّة (عن قصّة عيون الليل) - تأليف/ مجدي عبد النّبي _ إخراج/ فيفيان محمود.

٣_تَمَّ تحويل قصَّتي (الطّوفان، ووشم القلب المقهور) إلى رؤيا دراميَّة من إعداد الكاتب محمَّد أبو المعاطي، إخراج فيفيان محمود. وأذيعت بإذاعة الاسكندريَّة عامي ٢٠٠٥و٢٠٠٦.

٤-برامج: حكايات السّتّ شفيقة-تأليف: مجدي عبد النَّبي (برنامج اجتماعي يومي، إخراج: هنادي محمود، تمثيل: نادية أمير- إكرام- فؤاد المليجي).

٥-نادى القصَّة-تمثيل: إسماعيل محمود- مبروك عبد العزيز، إعداد درامي: مجدي عبد النَّبي، إخراج: هنادي محمود.

٦-مغامرات فشفش (أطفال).

المواقع:

www.magdyabdelnaby.com

www.magdyabdelnaby.co.cc

www.magdyabdelnaby.com

http://facebook.com/magdy.abdelnaby

روابط لمواقع أخرى (مدونات):

/http://magdyabdelnaby59.blogspot.com

http://www.syrianstory.com/a-majedi.htm

/http://magdy777.maktoobblog.com

http://middle-east-online.com/?id=62562#.TftoyoO0qoQ;facebook

http://middle-east-online.com/?id=62777#.TftpLO5u90g;facebook

http://middle-east-online.com/?id=63313#.TftpbzGr_iI;facebook

البريد الإلكتروني:

magdy.abdelnaby@facebook.com

ELADEEB2010@hotmail.com

http://facebook.com/magdy.abdelnaby

magdyeladeeb@yahoo.com

مشرف سابق بموقع WWW.W-ENTER.COM